الدرس السابع عشر
تمرّد في البريّة
عدد ١٠: ١١-٢١: ٣٥

١. مقدمة

إن الوحدة الرئيسية التالية ضمن سفر العدد هي القسم ١٠: ١١-٢٥: ١٨ الذي يتتبَّع عصيان جيل الخروج وعدم إيمانهم. غير أن ملاحظاتي هذه ستغطي المادة حتى ٢١: ٣٥، قبل تناول إعلانات بلعام النبوية. وتتوسط هذه الوحدة الرئيسية السفر، شارحةً سبب فشل الجيل الذي خرج من مصر في دخول أرض الموعد (ما عدا يشوع وكالب). ومن المؤكد أن المشكلة لم تكن في الله ولا في قدرته على حفظ وعوده، إذ التمرد وعدم الإيمان هما اللذان جعلا الشعب يفوّت هذه الفرصة. وحدثت ذروة هذه الرواية في قادش برنيع حيث تمرّد الشعب على الرب ورفضوا (في عدم إيمان) أن يدخلوا الأرض. نتج عن عمل عدم الإيمان الواحد هذا دينونة الله لهم بالموت في البرية. غير أن أحداثاً عديدة دالة على عدم الإيمان قبل هذه المرّة غذّت طبيعتهم المتمردة التي أعاقتهم في اللحظة التي كانوا يحتاجون فيها إلى تصديق الله والاتكال عليه.

ولا يُعطى اختبار البرية في واقع الأمر اهتماماً كبيراً، حيث أُحيل هذا الاهتمام إلى الأصحاحات ١٥-٢١. إذ يولى اهتمام أكبر للحديث عن الحوادث العديدة للتمرد وعدم الإيمان لهذا الجيل: ١١: ١-٣؛ ١١: ٤-٩؛ ١١: ٣١-٣٥؛ ١١: ١٠-٢٠؛ ١٢: ١-١٦؛ ١٣: ٣٠-١٤: ٣٥؛ ٢٠: ١-١٣؛ ٢١: ٤-٩ (لنلاحظ ١٤: ٢٢ حيث جرّبوا الله عشر مرّات!).[١]

٢. من سيناء إلى قادش (١٠: ١١-١٢: ١٦)

كان الرحيل من جبل سيناء سلساً. مرّت عليهم الآن أكثر من سنة منذ أن غادروا مصر (١٠: ١١)، لكنهم كانوا في طريقهم أخيراً إلى أرض الموعد. لكنهم ما أن بدأوا رحلتهم حتى بدأت "شكاوي المِحن" تنطلق (١١: ١-٣). يقول أنجر: "على الرغم من كل ما فعله الرب من أجلهم ووعدهم به (انظر ١٠: ٢٩)، إلاّ أن استياءهم أو عدم رضاهم أظهر جحوداً خسيساً."[٢] لنلاحظ كيف أن الله أحرق بعض "أطراف" المحلة بالنار. كانت خيمة الاجتماع في وسط المحلّة، فعمد المتمردون إلى الانتقال إلى أقصى نقطة عن محضر الله. كان هذا تمرّداً ثيوقراطياً-تمرّداً على حق الله في الحكم.

نجد حادثة تمرّد أخرى في ١١: ٤ فصاعداً. فقد قامت مجموعة من الرعاة غير قانعة بنصيبها من المن بالتذمّر. كانت مشكلتهم في جوهرها مشكلة جشع (١١: ٤). كان المن يتسم بعدّة صفات جيدة: (١) كان نسيجه كبزر الكزبرة؛ (٢) وكان منظره كالمُقْل؛ (٣) كان طيّب المذاق-كمذاق الكعك المخبوز بالزيت؛ (٤) تنوّعت طرق إعداده؛ (٥) كان وفيراً. بالإضافة إلى طمع الناس، فقد كان هنالك عاملان آخران في المشكلة غير الجشع: (١) انتشرت نظرتهم المتذمرة سريعاً لتمتد إلى الآخرين، و(٢) كان موقفهم مهيناً لتدبير الله الكريم لحاجتهم (فكانوا يقدّرون أطعمة الحياة القديمة أكثر من الطعام الذي يقدّمه الله لهم في الحياة الجديدة). فاستجاب الله بأن جلب الدينونة على الجشعين، فأرسل عليهم ضربة وهم يأكلون.

حتى إن عدوى التذمر انتقلت إلى موسى (١١: ١٠-١٥)، حيث أرهقه حمل الشعب. وفي هذا يُمتحن إيمانه بقوّة من خلال عدم إيمان شعب الرب. ويستجيب الله في نعمته ويعطي سلطة لسبعين من الشوخ لكي يعينوه. وهم لا يتنبأون إلاّ بشكل مؤقت، حيث اقتصر غرض التبؤ على المصادقة على النظام الجديد (١١: ٢٥).

---

[١] انظر خروج ١٤: ١١؛ ١٥: ٢٤؛ ١٦: ٢؛ ١٧: ٢؛ عدد ١١: ١؛ ١٤: ٢؛ ١٦: ٢؛ ١٦: ٤١؛ ٢٠: ٢؛ ٢١: ٤. من المهم ملاحظة استجابة الله لكل حالة من هذه الحالات. في استجابته للحوادث الأربعة الأولى، يقوم الله بمباركتهم بكرم (على سبيل المثال، وفر المن أو "أبرأ" الماء). مع ذلك، في الحوادث الستة الأخيرة (ما عدا عدد ٢٠: ٢)، أوقع دينونةً على الشعب.

[2] Merrill F. Unger, *Commentary on the Old Testament*, 1:197.

يتناول الأصحاح الثاني عشر مسألة تمرّد مريم وهارون على موسى. كان لكل منهما منصبه الرفيع المميّز ضمن الأمّة. إذ كانت مريم نبيّة (خروج ١٥: ٢٠)، بينما كان هارون رئيس الكهنة. وتصبح مسألة زواج موسى من المرأة الكوشية فرصة للتنفيس عن استيائهم. غير أن السبب الحقيقي هو حسدهم لموسى على منصبه في إدارة الحكم الثيوقراطي (١٢: ٢). فأبرأ الله موسى بأن أنزل دينونة على مريم. تمثّل هذه الحادثة درساً مناسباً لكثيرين من الخدّام المسيحيين اليوم، فيجب أن يفحص المؤمن إن كان قد طلع عِرْق حسد وغيرة في قلبه ويقتلعه، لأن هذا بمثابة تمرّد على الله.

٣. عدم الإيمان في قادش (١٣: ١-١٤: ٤٥)

يتناول الأصحاحان ١٣ و١٤ الحادثة التي وقعت في قادش. وهما يمثّلان ذروة هذا القسم، لأن عدم الإيمان في ذلك المكان يأتي بدينونة الله القاضية بموت هذا الجيل وانقراضه في البريّة. لكن يتوجب أن يكون المرء حذراً في استخدام "اختبار البرّية" في مقارنته له بالحياة المسيحية (كما لو أنها كانت تمثّل الانتقال بين الخلاص والسماء). بل على العكس من ذلك، فإنها تمثّل التأديب الإلهي نتيجة للعصيان وعدم الإيمان. ومن المؤكد أن هذا ليس الاختبار المتوقع للمؤمنين على الرغم من أنه يحتوي بالفعل على دروس للذين يتراجعون في علاقاتهم بالرب بسبب عدم الإيمان. وتؤكد الرسالة إلى العبرانيين على الدروس المستفادة من عدم الإيمان (انظر الأصحاحين ٣-٤ على نحو خاص).

عند الوصول إلى قادش، يُرسل جواسيس لكي يتحرّوا أحوال الأرض.[٣] ولم يكن التجسس على الأرض بهدف رؤية إن كان ممكناً الاستيلاء عليها، لأن الله قد سبق أن أخبرهم في سفر الخروج أنه سيُحضرهم إلى أرض تفيض لبناً (حليباً) وعسلاً، بل الهدف هو أن يؤكد الجواسيس أن الأرض تستحق القتال من أجلها (حرب إيمان). ولسوء الحظ، فقد ركّز الجواسيس (ما عدا يشوع وكالب) انتباههم على طبيعة العوائق، لا على الأرض. وعلى الرغم من أن الله أوعز إلى موسى بأن يرسل الجواسيس (١٣: ٢)، إلا أنه يبدو أن الله سمح بهذا بناء على طلب الشعب. تشرح لنا تثنية ١: ١٩-٢٣ أن الرعية كلّها طلبت إرسال جواسيس بحجة أنهم يريدون أن يعرفوا الطريق الفضلى لدخولها. كان من الواضح أن الشعب متردد بعض الشيء في الدخول إلى الأرض قبل أن يتلقّوا تقارير الجواسيس.

جاءت التقارير باستجابتين مختلفتين. فقد أبلغ كالب ويشوع عما رأياه بقلبين مؤمنين. فالمعلومات الجديدة بالنسبة لهما لا تؤثّر على إيمانهما: فالمسألة محسومة حيثما تكلّم الله. وبالمقابل أبلغ معظم الجواسيس عمّا رأوه في عدم إيمان، مؤكّدين على الصعوبات. وفضلاً عن ذلك، فقد قاسوا الصعوبات بأنفسهم، "لا نقدر" (١٣: ٣١).

تمسّكت الجماعة بالتقرير السيّء ووضعوا اللوم كلّه على الرب (١٤: ٢-٣). وقد رأى الله في ذلك إهانة له (١٤: ١١): وتتضح الأمور أكثر في تثنية ١: ٢٦-٢٧.

> لكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا، وعصيتم قول الرب إلهكم، وتمرّدتم في خيامكم وقلتم: الرب بسبب بغضه لنا، قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى أيدي الأمّوريين لكي يهلكنا.

مثّل هذا عدم إيمان وتمرّد إراديين من قِبل الأمة التي سبق أن رأت أمانة الله في قيادتها وهدايتها وتوفير احتياجاتها حتى تلك المرحلة. فكان لديهم أسباب كافية تدعوهم إلى الاتكال على الله في تثبيتهم في الأرض.

وفضلاً عن ذلك صرّحوا قائلين: "نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر" (١٤: ٤). فكان هذا رفضاً للسلطة الثيوقراطية التي مارسها موسى منذ مغادرتهم مصر. وسارع يشوع وكالب إلى تفسير خطة انتخاب قائد جديد بصفته تحدّياً سافراً للرب (١٤: ٩).

[٣] يُعَرِّف ميريل "قادش" على أنها تل القديرات الحالية، الذي يقع في برية سين إلى الجنوب من بئر سبع بحوالي ٥٠ ميلاً (عدد ٢٠: ١).

استجاب يهوه بأن اقترح ضربهم بالطاعون والقضاء عليهم، مستخدماً موسى لبدء أمّة جديدة (١٤: ١٢). في الواقع، كان بإمكان الله أن يبيدهم من دون خرق العهد الإبراهيمي، لأن موسى كان من نسل إبراهيم (وبافتراض أن كالب كان من سبط يهوذا [عدد ١٣: ٦] فيكون قد تم العفو عنه للحفاظ على الوعد الملكي لسبط يهوذا [تكوين ٤٠: ١٠]) . لكن موسى تشفّع في الأمّة تشفّعاً مزدوجاً: (١) كان مهتمّاً بكرامة الله بين الوثنيين، و(٢) عبّر عن ثقته بطبيعة الله الأخلاقية، خاصة غفرانه ورحمته وكرمه النابع من محبّته (خِسِد *ḥesed* - الوفاء/الولاء المُحِب).

استجاب الله بالغفران، لكنه جاء من منظور الحفاظ على الأمّة، لا من منظور إلغاء عقاب مستحق. وستكون الدينونة عدم دخول هذا الجيل إلى الأرض (١٤: ٢٣). وتوجد هنا سخرية أدبية في سماحه للأمة بالتمرّد. ففي ١٤: ٢ كان الشعب قد ذكروا أن موتهم في البريّة سيكون أفضل بكثير من محاولتهم الاستيلاء على الأرض، فنالوا ذات الشيء الذي أرادوه (١٤: ٢٢-٣٠). وعلى الرغم من انهم أظهروا قلقاً على أبنائهم (١٤: ٣)، فإن هؤلاء الصغار هم الذين سيدخلهم الله الأرض. وأخيراً، فإن الجواسيس الذين جاءوا بتقرير سيء ماتوا بوباء (١٤: ٣٧)، دون أن يمسّهم أهل الأرض الذين خافوا منهم، أي الكنعانيين. غير أن الأمّة لم تكن هي التي حُرمت من بركة الدخول إلى الأرض، بل ذلك الجيل بعينه. فالله ما زال وفياً، وهو يعتبر أن العهد الإبراهيمي ما زال قائماً.

٤. اهتمامات كهنوتية (١٥: ١-١٩: ٣٢)

يغطي هذا القسم عدّة مواضيع تتناول الذبائح والكهنوت وهارون واللاويين والنجاسة. وهكذا فإن العنصر المشترك بينها هو "الاهتمامات الكهنوتية". وهذه المادّة موضوعة بعد مسألة عدم الإيمان في قادش، وهي لهذا تقع ضمن الفترة التي هامت فيها الأمّة في البريّة. وعلى الرغم من أن "التَيَهان" حصل حوالي أربعين سنة، فإننا لا نجد إلاّ القليل المذكور عن هذه الاختبارات. غير أن أحد أهم الأحداث هو التمرّد الذي قاده قورح (عدد ١٦: ١-٤٠)، وهو من اللاويين القهاتيين (واحد من أكثر اللاويين المكرَّمين).

كان تمرّد قورح منظّماً شارك فيه ٢٥٠ من قادة الجماعة، ممّا جعله أخطر تمرّد ضد موسى وهارون. ويوحي سؤال موسى لهم: "وتطلبون أيضاً كهنوتاً؟" (١٦: ١٠) بأنهم يتحدّون سلطة هارون أيضاً. حتى أن المتمردين هزئوا بسلطة الله المعهود بها لموسى، وذلك برفضهم أن يأتوا إلى موسى عندما استدعاهم (١٦: ١٢).
يبدو أن التحدّي في ١٦: ٣ يوحي إلى أنهم لم يروا حاجة إلى أن يكونوا تحت سلطة حيث إنهم كانوا جميعاً جزءاً من الشعب المفدي. شعروا بأنهم لم يكونوا يحتاجون إلى إداري عليهم. والفكرة الكامنة وراء هذا هي إنكارهم لحق الله في الحكم، قائلين بأنه لا حاجة بالمفديين إلى الخضوع إلى السلطة. عكس هذا موقفاً خاطئاً (مشابهاً لموقف بعض المؤمنين بالمسيح الذين يزعمون أنهم أحرار من كل شريعة لأنهم "تحت النعمة"؛ فمع أننا أحرار من الشريعة الموسوية، إلاّ أننا تحت ناموس المسيح). يقول أنجر: "أرادوا أن يطيحوا بما سبق أن رسّخه الرب لكي يغتصبوا لهم مكاناً لم يُعطهم إياه."[4]

دُعيت كل الجماعة إلى التجمع، حيث إن هذا كان تمرّداً علنياً (لاحظ ١٦: ١٩). أراد الله أن يهلكهم، وكان سيهلكهم، لولا تشفّع موسى وهارون. غير أن الدينونة كانت شديدة. فقد ابتلعت الأرض عائلات قورح وداثان وأبيرام (١٦: ٣٣)، والتهمت نار أرسلها الرب المئتين والخمسين قائداً متمرّداً. كانت الدينونة قاسية، لأن الله رأى أنها تحدٍّ لإدارته الثيوقراطية. وقد أكّدت الدينونة أن الشعب لا يستطيع أن يتجنّب عواقب التمرّد الفردي أو التمرّد الجماعي.
وهكذا أبقى الله على حياة بقية الجماعة، وكان من المفروض أن الجماعة تعلَّمت عدم التمرّد على السلطة التي رسّخها الله. غير أنهم لم يتعلّموا درسهم جيّداً، لأنهم جاءوا في اليوم التالي بالذات قائلين بتذمّر بأن اللوم سيقع على موسى وهارون في المسألة كلّها (١٦: ٤١). ويؤكد هذا أن قلوبهم لم تكن ميّالة إلى الخضوع لله. بمقدار التمرُّد الذي يمكن أن يصبح في قلوب أولاد الله! استجاب الله بوباء وانتزع حياة ١٤,٧٠٠ شخص (١٦: ٤٩). وسيتعلم الذين أبقى الله على حياتهم درساً أعمق:

[4] Unger, 206.

عرفوا أن الله لم يعفُ عنهم بسبب قلوبهم الوفية أو التائبة. وكان عليهم أن يعرفوا، من توقيت توقّف الوبأ القاتل المفاجئ مع ذبيحة الكفّارة، أن ما أنقذهم هو عمل موسى السريع والشفاعة الأمينة لرئيس الكهنة هارون من خلال تقديم كفّارة على المذبح. وهكذا تبيّن أن من دعاهم الشعب قاتلين كانا في واقع الأمر "مخلِّصين".[٥]

٥. من سِين إلى موآب (٢٠: ١-٢١: ٣٥)

يوجد مشهد آخر يستحق التعليق، ألا وهو ضرب موسى للصخرة (عدد ٢٠: ١-١٣). والمشهد مألوف: فقلّة الماء جعلت الشعب "يخاصم" موسى. وإن المرء ليدهش وهو يشاهد شعباً لا يتعلّم أبداً من خبرات الماضي وتدبير الله الكريم لسداد حاجاتهم. ففي خروج ١٧: ١-٧، احتاج الشعب إلى ماء، فوفّر الله ماء حين ضرب موسى الصخرة. وتعلّمنا ١كونثوس ١٠: ٤ أن الصخرة كانت المسيح. غير أن الله يطلب من موسى هذه المرة في الأصحاح العشرين من سفر العدد أن يكلّم الصخرة.

على الرغم من أن الله وفّر في نعمته ماء مرّة أخرى، إلاّ أن تصرّف موسى كان ينم عن عدم خضوع. فنحن نلاحظ أنه غضب سريعاً وفقد أعصابه، لأنه يخاطب الشعب بقوله: "اسمعوا أيها المَرَدة" (٢٠: ١٠). وفضلاً عن ذلك، فعل شيئاً سلب الله مجده، فهو يسأل في الآية (٢٠)، "أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء؟" كان في هذا تعظيم للذات بالتوكيد على "نُخرج نحن"، دون أن يذكر كلمة عن يهوه. وأخيراً، عصا الله صراحة بضربه للصخرة مرّتين بدلاً من أن يكلّمها. كان الإداري الثيوقراطي نفسه غير خاضع للسلطة الإلهية. وشوّه بهذا الدرس الذي يُفترض أن يتعلّمه شعب إسرائيل. لقد هدفت الصخرة إلى تعليم بني إسرائيل أن الله الذي فداهم سيسدد احتياجاتهم من خلال موسى الذي أوصل بركة الله لهم.

ونتيجة لذلك أدان الله موسى (٢٠: ١٢) بعدم السماح له بقيادة الشعب إلى داخل الأرض. وقد بيّنت هذه الدينونة أن الله لا بدّ أن يحكم حتى على إداري الحكم الثيوقراطي الذي اختاره! وهكذا يسمح لنا الله أن نرى موسى القائد الأمين طوال هذا الوقت في لحظة فشله. وهذا أمر حسن، بمعنى ما، حيث نرى أنه لا يستطيع حتى أفضل البشر أن يحققوا إرادة الله كاملة. وتتلهف قلوبنا إلى مجيء واحد يستطيع أن يفعل ذلك، وسيأتي هذا الواحد بعد ١٤٠٠ سنة من موسى.

٦. درس لحياتنا

لنتأمل عدد ١٦: ٨-١٠. كانت لقورح فرصة وامتياز لخدمة الرب بصفته لاويّاً، غير أنه لم يقنع بتلك المهمّة. فقد أراد ما هو أكثر، ممّا يرفعه فوق الآخرين. ومثل هذا الموقف خطير، خاصّة للذين يتولّون منّا مسؤوليات قياديَّة. صلِّ أن يعطيك الله قناعة في خدمتك له، ودع الله هو الذي يرفعك، ولا تحاول أن ترفع نفسك بجهودك الجسدية.

[5] Jensen, *Numbers: Journey to God's Rest-land* (Chicago: Moody Press, 1964), 75.